بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سلسلة إضاءات على الطريق

تخاطب هذه السلسة كل مسلم ومسلمة في هذه الأمة العظيمة والمباركة بهدف إضاءة الطريق أمامها في مواضيع متنوعة انطلاقاً من منهج وفكر أهل السنة والجماعة في العقيدة والفقه والأخلاق، النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة الشريفة.

الإضاءة (الثانية)

بيان عقيدة أهل السنة والجماعة

القسم الأول

الإلهيات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أشرف الخلق وأفضل الأنبياء والمرسلين، وعلى آل بيته الأطهار، وعلى أصحابه الأبرار، وإخوانه الأغيار، وبعد:

بعد أن انتهينا في الإضاءة الأولى من الكلام عن أهل السنة الحقيقيين وهم الأشاعرة والماتريدية في العقيدة، والمذاهب الأربعة في الفقه، وعلماء الأخلاق المعتبرين، ومن تبع هؤلاء من علماء اللغة العربية، والتفسير، والحديث الشريف، وأصول الفقه، والتاريخ والسيرة، وغيرهم ممن لهم اتصال واعتقاد بعقائد أهل السنة والجماعة، أردنا أن نشرع في هذه الإضاءة الثانية ببيان عقائدهم.

وعقائد أهل السنة مقسمة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العقائد المتعلقة بذات الله تعالى، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وهذا القسم يسمى عند العلماء **بالإلهيات**.

القسم الثاني: العقائد المتعلقة بالأنبياء، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، ومعرفة ما يجب اعتقاده في حقهم، وما يجب تتريههم عنه، وهذا القسم يسمى عند العلماء **بالنبوات**.

القسم الثالث: العقائد الغيبية، والتي طريق معرفتنا بها هو السماع من فم صاحب الشرع، كالإيمان بعذاب القبر، والبرزخ، والنشر، والحشر، والصراط، والميزان، والحوض، وغيرها، وهذا القسم يسمى عند العلماء **بالسمعيات**.

فالعقيدة عند أهل السنة: **إلهيات، ونبوات، وسمعيات**.

ونحن سنجعل كلَّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة في إضاءة خاصة، على أنْ نذكرَ في هذه الإضاءة قِسم الإلهيات، وفي الثالثة قسم النبوات، وفي الرابعة قسم السمعيات.

والمقصد من ذكر وبيان هذه العقائد هو تعريف جماهير المسلمين بعقيدة أهل السنة والجماعة، وذلك أن جماهير المسلمين يفهمون من كلمة العقيدة إما مجرد النطق بالشهادتين باللسان، أو الشعور بوجود الإيمان في القلب، وبَعْضُهم يفهم من كلمة "العقيدة" الالتزام بشعائر الدين، حيث يعتاد الناس على وصف [فلان] من الناس بأنه قوي العقيدة أي أنه يقيم شعائر الدين ويحافظ عليها[1].

---

[1] ربما تكون كلمة "**العقيد**" من أكثر الكلمات جريا على اللسان، نحن اعتدنا على سماع عوام الناس وهم يميزون بعض الناس عن بعض بواسطة هذه الكلمة، فيقولون فلان عقيدته سليمة صحيحة، وفلان عقيدته فاسدة، والناس الفلانيون أعداء للعقيدة، الفلانيون يريدون هدم العقيدة الإسلامية، ونجد كثيرا من المسلمين لا يصلون وراء شخص ما لأنه بنظرهم صاحب عقيدة فاسدة أو عليه إشكالات في عقيدته، ونسمع الناس يقولون إن الله تعالى لن ينصر المسلمين حتى يعودوا إلى العقيدة الحقة الصافية...الخ.

إذن فهناك قضايا كثيرة جدا ترجع من على لسان الناس إلى العقيدة، وهذا ليس من فراغ، وإنما ما للعقيدة من رتبة وقيمة في الدين نفسه، فإن الأديان السماوية كلها لم تنزل أصالة إلا لتقويم وتصحيح ما يصيب الناس من خلل في العلاقة مع الله، وهذا الخلل له مراتب:

أولا: الخلل في إنكار وجود الله من أصله.

ثانيا: الخلل في إشراك غير الله مع الله في ذاته أو صفاته أو أفعاله.

ثالثا: الخلل في فهم معنى الإله، أو في فهم صفاته الفهم السليم، أو في فهم معنى أنه فالق لأفعاله.

أما الخلل الأول فيكون بين المسلمين والملحدين.

وأما الخلل الثاني فيكون بين المسلمين وأهل الشرك.

وأما الخلل الثاني فيكون الحوار والنقاش فيه بين المسمين مع بعضهم البعض. وهذا الخلل له ثلاث مستويات:

وهذه الأفهام طيبة وجميلة، ولكن ليست هي المقصودة عند العلماء من كلمة العقيدة، فإنهم يقصدون بها **المسائل العقائدية التي تبحث في أحكام ذات الله تعالى، وأحكام صفاته، وأحكام أسمائه، وأحكام أفعاله، وأحكام الأنبياء، والعقائد السمعية**.

ففرقٌ بين العقيدة بمعنى الالتزام بشعائر الدين، وبين العقيدة بمعنى المسائل والقضايا والمباحث العقائدية، وهذا الذي نريد تعريف إخواننا المسلمين به.

وقبل البدء بذكر عقائد أهل السنة المتعلقة بذات الله تعالى، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، نود التقديم بمقدمة نبين فيها أمرين أساسيين:

الأول: أهمية العقيدة في حياة الإنسان بشكل عام، والمسلم بشكل خاص.

الثاني: بيان الجهود التي بذلها أهل السنة في خدمة عقائد الإسلام.

هذا وإن النطق بالشهادتين، ووِقْرانَ الإيمانِ في القلب **شرطان** في قبول العمل من صلاة وزكاة وغيرهما، وهذا يستوي فيه كل الناس، وأما حمل رسالة هذا الدين، والعمل على نصرته، وهدم كل ما يعارضه فيحتاج إلى العلم الدقيق بتفاصيل الإسلام، ففرق بين متطلبات تصحيح العمل، وبين متطلبات نصرة هذا الإسلام ورفع لوائه.

المستوى الأول: مستوى الذات الإلهية: فهناك من خالف أهل السنة في فهمه للذات الإلهية وأحكامها، وهؤلاء هم المعروفون في التاريخ الإسلامي باسم "المجسمة" أو: "المشبهة"، وقد مثل هؤلاء في التاريخ الإسلامي مجموعة من الأشخاص أهمهم: ابن تيمية ومن تبعه كالوهابية والسلفية المعاصرة.

المستوى الثاني: مستوى الصفات: فهناك من خالف أهل السنة في فهم صفات الله الفهم السليم، وهؤلاء كثر، فمعظم الفرق الإسلامية خالفت أهل السنة في هذا الأصل العقائدي، فالمعتزلة والشيعة والخوارج نفوا صفات الله عن الله، ولهذا سموا في التاريخ بـــ "المعطلة" لأنهم عطلوا الذات الإلهية عن صفاتها، وأيضا نجد المجسمة قد خالفوا أهل السنة في فهم الصفات الإلهية، فهم لم ينفوها كما فعل السابقون ولكنهم جسموها، فالذات الإلهية عند ابن تيمية مثلا عبارة عن أبعاض اجتمعت مع بعضها البعض وكونت الذات الإلهية، ومن ناحية أخرى نجد ابن تيمية يشترك مع المعتزلة والشيعة في القول بخلق كلام الله تعالى، ولذلك نجدنا نسمع كل وهابي وسلفي تابع لابن تيمية يقول: الله **يتكلم** إذا شاء ويسكت إذا **شاء**، بمعنى أن الله على قوله إذا أراد خلق كلامه فعل، وإذا أراد إعدامه وخلق السكوت بدلا عنه فعل. وهذا هو عين القول بخل القرآن، إذ لا معنى للقول بالخلق إلا ترتب المخلوق على مشيئة صاحب المشيئة؟!!! فهل يجوز يا عباد الله أن تكون صفة إلهية معلقة في وجودها وحصولها علة مشيئة وإرادة واختيار؟!!!

المستوى الثالث: مستوى الأفعال: فهناك من يخالف أهل السنة فينسب التأثير في الأشياء لغير قدرة الله، كالمعتزلة وسائر الفرق الإسلامية، وأما كلام ابن تيمية في هذه النقطة أيضا فغير واضح، فمرة يفهم من كلامه موافقته لأهل السنة في حصرهم التأثير في قدرة الله وبالتالي ينحصر التدبير فيه تعالى، ومرة يفهم من عباراته موافقة الفرق القائلة بنسبة الأثير لغير الله تعالى.

وهناك مستوى أخر وهو مستوى فهم حقيقة هذا العالم الذي نعيش فيه: فأهل السنة قاطبة ووافقهم المعتزلة، وهو ظاهر قول أتباع ابن تيمية من السلفي والوهابية يقولون بأن الله خالق لهذا العلم من العدم المحض وأن هذا العالم لم يكن موجودا قبل أن توجده قدرة الله.

وفي المقابل نجد الفلاسفة والشيعة وابن تيمية يعتقدون بأن **العالم قديم** ومعنى أن الله خالق عندهم بمعنى أنه خالق لمراحل التاريخ لا لأصل العالم ووجوده الذاتي.

ومن اللطائف هنا أن الوهابية والسلفية كانوا يدعون أن ابن تيمية يقول بالخلق، ويتهمون من ينسب إلى ابن تيمية أنه يقول بقدم العالم بالكذب على شيخهم، ولكن لم أصبح قول ابن تيمية بقدم العالم أوضح من الشمس في رابعة النهار انقسموا قسمين: منهم من اعتقد قدم العالم ولم يستطع اتباع الحق فألصق نفسه بقول ابن تيمية، وبعضهم اعترف بخطأ ابن تيمية في هذه المسألة.

أهمية العقيدة في حياة الإنسان

تنبع أهمية العقيدة من كونها تعطي الإنسان و تزوده بفهم وتصور كلي وشامل عن هذه الحياة التي نعيشها والكون الذي نحن جزءٌ منه، وذلك يُمكِّنه من حسن التخطيط ووضح البرامج المختلفة من فكرية وتعليمية وسياسية واقتصادية واجتماعية والتي تعكس وتخدم فهمَه الإجمالي عن هذه الحياة بشكل خاص والكون كلِه بشكل عام، ليصل في النهاية إلى أهدافه ومقاصده وغاياته التي تحقق له السعادة في الدنيا والآخرة.

ومنزلة علم العقيدة بين العلوم الأخرى أنه علمٌ واسع وشامل وعام، يهتم بدراسة كل ما في الحياة والكون من معلومات ويوظفها في خدمة عقيدة الإنسان، ولهذا دعانا القرآن إلى التفكر في السموات والأرض وما فيهما وما بينهما لأن هذا التفكر العام والشامل يقودنا في النهاية إلى إدراك الحقيقة الكبرى وهي أن هناك خالقاً من وراء هذا العالم الذي نشهده.

وفي حين أن العلوم الأخرى تعطينا فهماً وشرحاً مفيداً بجزئية معينة، فالطب يختص بحالة الإنسان المرضية والصحية فقط، وعلم الفلك يختص بدراسة أحوال الكواكب والنجوم وهكذا كل العلوم والتخصصات الجزئية، نجد علم العقيدة يتجاوز كل هذه الجزئيات ليهتم ببيان حقيقة كل الكون، هل هناك خالقٌ وراءه يُسَيِّرَه حسْب[2] إرادته ومشيئته، أم أنه عالم وكونٌ مستقل بشأنه ولا إله له.

وهكذا فعلم العقيدة يضعك أمام موقفٍ يمنحك الطاقةَ والقدرةَ بعد ذلك على أخذ زمام الأمور، وتتمكن بواسطته من رسم خطة لحياتك.

وإذا كان علم الطب يشرح لي جزئية معينة هي حالة الجسم الصحية والمرضية، وعلم الفلك يشرح جزئية أخرى هي أحوال الكواكب والنجوم، وهذا هو شأن كل العلوم التي نعرفها، فإن علم العقيدة يتكفل بشرح وبيان حقيقة هذا الكون، هذا العالم، هذا الوجود.

فمن استطاع أن يفهم هذا الكون كله استطاع أن يحدد طريقه وأهدافه في الحياة، ومن لم يستطع تحصيل ذلك فسيظل تائهاً تتقاذفه الظروف الطارئة عليه.

هذا وإن الصحابة رضي الله عنهم لما فهموا حقيقة هذه الحياة التي يعيشونها، وعرفوا حقيقة هذا الكون، وأن وراءه خالقاً خلقه من العدم، عالماً بتفاصيله، مسيطراً عليه، مدبراً له، متصرفاً في شؤونه، وظفوا أنفسهم في خدمة هذا الدين الحق، ففتح الله تعالى على أيديهم المشارق والمغارب، وأدركوا أن الرسالة التي يؤديها الإنسان على هذه الأرض هو عمارتها، وعبادة الله تعالى فيها،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦]

---

[2] قال العلامة المحقق الدسوقي: إذا لم يدخل حرف الباء على كلمة "حسْب؛ كانت ساكنة السين، وإن دخلت عليها كانت متحركة بالفتح هكذا: "بحسَب".

والشريعة الإسلامية تعطينا حزمة من الأفكار والمعلومات عن هذا الكون، وعن الإله الذي خلقه، فأخذ علماء العقيدة من أهل السنة والجماعة هذه المعلومات وبنوْا علم العقيدة عليها، وكان هذا العلم سبباً في نصرة هذا الدين.

ولكن المسلم المعاصر، ونظراً لضعف صلته بعلم العقيدة، وقلة علمه به، ولاكتفائه بمجرد النطق بالشهادتين والشعور بوجود الإيمان في القلب، و كونه لم يجتهد في العمل على فهم قضايا العقيدة الواردة في الشريعة، **وقف** عاجزاً عن مواجهة الفلسفات والمشاريع الفكرية الضخمة التي اجتاحت العالم، وكانت **فاعليته** في مواجهتها ضعيفة، أو تكاد تفي بالحاجة في نصرة الدين.

وإننا لا نبالغ إذا ما قلنا بأن اتكال الناس على مجرد الفهم الإيماني للعقيدة دون تأسيسه على فهم علمي صحيح لم يسعف المسلم المعاصر في صد الشهوات عن نفسه وتقاصرت قواه عن أن يصحح معاملاته في حياته اليومية.

وعلى المسلم أن يفهم أن دراسة مسائل الإيمان والتفكير فيها هو من صميم أهداف الشريعة، بل وأمرنا الله بذلك فقال: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩]، فلا بد من أن يعرف المسلم **معاني** صفات الله تعالى وأسمائه وأحكامها، وبعض القضايا التفصيلية والموسعة عن الأنبياء والملائكة والكتب السماوية.

وإن الإنسان ليستغرب كيف أن معظم الناس إذا سمعوا شخصا يتناول مسائل العقيدة بالبيان والتمحيص والعرض تجدهم يقولون له: هذه فلسفة، فلا يعرفون للأسف بين ما هم مكلفون بدراسته ومعرفته من دينهم وعقيدتهم، وبين الفلسفة التي ضيعت أهلها، وهنا نتذكر المثل المشهور: من جهل شيئاً عداه، فيصبح المسلم عدواً لعقيدته التي نزلت على نبيه صلى الله عليه وسلم، وخُوطب بفهمها الفهمَ الدقيق الصحيح ليتمكن من الدفاع عنها، هذا وإن المبتدعة وأعداء الإسلام لا يدخلون إلى الناس من خلال علمهم الإجمالي والعام بالعقيدة بل من خلال التفاصيل التي يجهلها كثير من طلبة العلم الشرعي عدى عوام المسلمين فمثلاً ستقرأ في هذا الإضاءة كيف أن الشيعة **لا** يعتقدون أن الله تعالى هو خالق الخير والشر، فإن الله عندهم هو خالق الخير فقط، وأما الشر فخالقه هو الإنسان، والله تعالى يرد عليهم عندما يقول: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ولهذا كله، كان من اللازم أن تنشأ حركة[3] علمية عقائدية سنية إسلامية، تهتم بعقيدة أهل السنة، وتعيد إظهار القضايا العقائدية التي جاء بها الإسلام، وتعتمد عليها في نصرة هذا الدين، وتدافع عنه، وتبين قوته في كافة المجالات، بأسلوب علمي رصين يجمع بين أدلة الشرع الحنيف، وبراهين العقل المنيف.

وانطلاقاً من هذه الأهداف، أردنا أن نذكر في هذه الإضاءة الثانية مختصراً في العقائد الإسلامية المتعلقة بالله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله بحسب ما قرره علماء أهل السنة في مؤلفاتهم ومصنفاتهم التي وصلت إلينا.

---

[3] نعني بذلك أن يهتم العلماء وطلبة العلم الشرعي بمسائل العقيدة الإسلامية.

جهود أهل السنة المباركة في خدمة العقيد الإسلامية

لم تهتم أمة بعقائدها كما اهتم أهل السنة بعقائدهم، حيث بلغوا أعلى مراتب الاجتهاد في استنباطها من الكتاب والسنة، وتحريرها أبلغ تحرير، وتدقيقها أبلغ تدقيق، وجعلوها في ضمن مؤلفات ومصنفات خاصة ورتبوها ضمن كتب وأبواب وفصول ومسائل، وصاغوا منها القضايا والقواعد، وثبّتوا أركانها بالأدلة الشرعية والعقلية، وفصّلوا في توضيح أدق تفاصيلها حتى يحفظوها من انحرافات أهل الأهواء والبدع.

هذا و لم يكن الدفاع عن الدين بشكل عام، والعقائد الإسلامية بشكل خاص من صنيع العلماء أصالة، بل إن الله تعالى دافع عن دينه بنفسه في القرآن الكريم، فرد على الدهريين الملحدين، وعلى المشركين واليهود والنصارى والمجوس والصائبة، وبين بطلان عقائدهم، وأظهر مفاسدها، فالدفاع عن الدين سنة إلهية لا يجوز الغفلة عنها أو التساهل فيها.

ولما اتسعت الدولة الإسلامية، وازداد عدد المسلمين، بدأت تدب في الأمة الفتن، وظهر أهل الأهواء الذين انحرفوا عن عقائد الإسلام، لم يقف العلماء عند مجرد بيان العقائد، بل تعدى ذلك إلى مقام الدفاع والرد على المخالفين:

فردوا على **القدرية** الذين أنكروا علم الله الأزلي بالأشياء، الذي كان مقدمة منهم لإنكار عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر والتي تنص على أن الخير والشر من اختيار الله تعالى ليبتلى الإنسان بهما.

وردوا على **المعتزلة** الذين قالوا بأن الإنسان خالقٌ يَخْلُق أفعاله الاختيارية.

وردوا على **الجبرية** الذين نفوا اختيار الإنسان وقالوا إنه مجبر على كل أفعاله.

وردوا على **الشيعة** الذين ابتدعوا فجعلوا من إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عقيدة يكفر مخالفها.

وردوا على **المجسمة والمشبهة** الذين أثبتوا لله تعالى الأعضاء والزمان والمكان والجهة والكيفيات وغيرها من المفاسد.

ولما ظهرت الدعوات **الفلسفية** في البلاد الإسلامية والتي بدأت تنافس العقائد الإسلامية على أيدي الفارابي وابن سينا وابن رشد وقف علماء أهل السنة في وجهها، ووجهوا إليها سهام النقد حتى تقهقرت، وانتصر الإسلام.

وأما نحن فإننا نجد أن العقيدة الإسلامية تواجه صراعات قاسية في مواجهة الإيديولوجيات والفلسفات والأفكار المادية من علمانية وقومية وغيرها، وبدون سلاح **علم الكلام** وقوته في وضع المخالفين على المحك فستبقى ردودنا عليهم ضئيلة وضعيفة.

*** التعريف بعلم الكلام:**

علم الكلام: هو العلم الذي يهدف إلى توضيح العقائد الإسلامية وبيانها، وعرض تفاصيلها بأسلوب دقيق، وإقامة الأدلة الشرعية والعقلية على كل عقيدة منها، ثم الدفاع عنها بالرد على المخالفين.

فهو علم يُوظف كلَّ المعارفِ الإنسانيةِ في خدمة هذا الدين وما فيه من عقيدة وفقه وأخلاق ومنهج.

ويطلق مصطلح "**علم الكلام**" عند أهل السنة على علم الإيمان، والتوحيد، والعقيدة، وأصول الدين أيضاً.

القسم الأول

الإلهيات

يُسمى العلماءُ القسمَ الأولَ من العقائد الإسلامية **بالإلهيات**، وذلك لأنها تبحث فيما **يتعلق** بذات الله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله **من قضايا وأحكام**.

والعقيدة الإسلامية (علم الكلام) **لا** تبحث عن **حقيقة** الله تعالى وصفاته، فهذا بحث حرام، وهذا الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق يقول: العجز عن الإدراك إدراك والبحث عن ذات الله كفر وإشراك، وإنما تبحث فيما **يُنسب** إلى الله تعالى وإلى صفاته من **أحكام**، ففرق كبير بين البحث في حقيقة الشيء وبين البحث في أحكامه التي تُنسب إليه.

فالله تعالى نسب إلى ذاته في القرآن الكريم كلَّ كمالٍ من الحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر، ونزه نفسه عن كلِّ نقص من العجز والشركاء والولد والصاحبة واللغوب والسِنَةِ والنوم وغيرها.

فوظيفة العلماء هو البحث فيما يُنسب إلى الله تعالى وصفاته من أحكام وليس البحث والتفكير في حقيقة الله وصفاته[4].

مقدمة :

قسم علماء أهل السنة قِسْمَ الإلهيات إلى الأبواب التالية:

الباب الأول: في أحكام الذات الإلهية.

الباب الثاني: في أحكام الصفات الإلهية.

الباب الثالث: في أحكام أسماء الله الحسنى.

الباب الرابع: في أحكام أفعال الله تعالى.

[4] من الأمثلة على ذلك صفة العلم، ورد بها الشرع، والأصل الإيمان بأن الله عالم دون الخوض فيما هو زائد على ذلك كما كان أيمان الصحابة رضي الله عنم، ولكن وصل إلينا أن بعض الناس ينسب إلى صفة العلم الإلهي ما لا يليق بها من الأحكام، فالمعتزلة مثلا قالوا إن العلم الإلهي ليس صفة بمعنى أنها معنى قائم بذات كما هو مفهوم الصفة الأصلي، وقد تابع الشيعةُ المعتزلة في ذلك، وأما المجسمة كابن تيمية وأتباعه فينسبون إلى العلم الإلهي أنه متعدد ومتكثر وهذا ينافي وحدانية صفة العلم الإلهي، وهكذا نجد كل فرقة من فرق الإسلام تنسب إلى العلم الإلهي أحكاما معينة تعتقدها، فكان هذا دافعا لأهل السنة من أن يحددوا الموقف الشرعي من هذه المسئلة ببيان الأحكام الصحيحة والتي يلزم منها إثبات الكمال المطلق لصفة العلم الإلهية وتنزهها عن كل نقص، وقس ذلك على كل المباحث العقائدية.

الباب الأول

أحكام الذات الإلهية

عقيدتنا في **ذات الله** تعالى تتضمن الإيمان بالأصول التالية:

الأصل الأول: الإيمان بوجودها.

إن الإيمان بوجود الله تعالى هو الأصل الكبير في العقيدة الإسلامية، وذلك لأن الدين كلَّه يتوقف في ثبوته على إثبات بأن الله تعالى موجود.

ومعنى الإيمان بوجود ذات الله تعالى أن الحقيقة المسماة بالله تعالى حقيقة ثابتة وليست مجرد فكرة وهمية أو خيالية, فالحكم على الذات الإلهية "بالوجود" هو الحكم الأول من أحكام العقيدة، وتفكر العلماء في معنى الوجود المنسوب إلى الذات الأقدس لا يعني التفكير في حقيقة الله تعالى ولكن يستلزم فقط التفكير في حكم منسوب إلى ذاته تعالى.

*** طريقة القرآن في الاستدلال على وجود الله تعالى:**

أرشدنا القرآن الكريم إلى الطريقة العلمية المُثْلى في إثبات وجود الله تعالى، وهي أن القرآن يدعونا دائماً إلى التفكر في السموات والأرض تفكراً يوصلنا إلى أن الكون مخلوق.

لأننا إذا استطعنا أن نثبت أن الكون مخلوق استلزم ذلك احتياج العالَم إلى فاعل خلقه، لأن القاعدة العقلية القطعية تقول: كل صنعة فلها صانع.

ولذلك فهناك صراع عقائدي بين مَنْ يؤمن بأن العالَم مخلوقٌ وخالِقُه هو الله تعالى، ومَنْ يؤمن بأن العالم قديمٌ ولا خالق له[5].

ولذلك قال العلماء: إن إثبات مخلوقية العالم هو بنفسه دليلٌ على وجود الإله.

فنحن نتفكر في هذا الكون أولاً لإثبات أنه مخلوق ثم بعد ذلك نقول: **كل مخلوق فله خالق.**

سؤال: هل يمكن أن نقول: إن هذا العالم مخلوق ومع ذلك **لا** إله ولا خالق له؟

الجواب: **لا**، لأنه تناقض، فكأنك تقول بواحدٍ من اثنين:

1- أن يكون الكون خلق نفسه.

2- أن يكون هناك صنعة لا صانع لها، ونتيجة بلا سبب.

ومن ارتكب واحداً منها فقد سلَّم عقله وأسقط نفسه من رتبة البشر كالملحدين والعلمانيين.

---

[5] ومن هنا نفهم مدى شناعة من قال بقدم العلم من المسلمين كابن تيمية والشيعة.

الأصل الثاني: تتريه ذات الله تعالى عن النقص.

بعد الإيمان بأن الله تعالى موجود، وأنه هو خالق الكون، يجب على كل مسلم أن يتره الله تعالى عن كل نقص، لأن الله لو كان ناقصاً في ذاته لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لم يكن خالقاً.

وتتريه الله تعالى عن النقص يكون بنفي المشابهة بين الخالق وبين أي مخلوق من مخلوقاته وتتريهه عن كل نقص من النقائص.

وعقيدة التتريه عقيدة هامة في حياة الإنسان بشكل عام والمسلم بشكل خاص، و ذلك لأن عقله قد اعتاد منذ صغره على التفكير في أحوال الحياة المليئة بالمتاعب والمشاق، فكل شيء في الحياة مليء بالنقص والقصور، فإذا أدرك الإنسانُ الإلهَ الكامل المتره عن النقص المخالف لما هو عليه المخلوق من قصور فقد عرف عظمة ذلك الخالق، وهدأت نفسه واطمأنت إلى العالِم بالسر وأخفى، المطلع على دقائق الأمور، المتره عن الظلم: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف:٤٩] فتنعكس عقيدة التتريه على عقله وفكره، وعلى قلبه وضميره، وعلى سلوكه ومعاملاته، فأنت تركن إلى إله لن يكون في نصرته لك مشوبا بأي نقص على الإطلاق، وما عليك أخي المسلم إلاّ بالإخلاص والصدق والتوكل على قيوم السموات والأرض.

*** خصائص المخلوقات:**

يتصف كل مخلوق من المخلوقات بأوصاف مشتركة وهي : **الجسمية والجرمية**، والاتصاف **بالجهات الستة:** الأمام والخلف، واليمين والشمال، والفوق والتحت، والمكان، والزمان، **والصغر، والكبر، والحركة والسكون** وغيرها.

فمن أثبت لله تعالى شيئاً من هذه الأشياء فقد شبه الله تعالى بمخلوقاته، ومن نزهه عنها جميعاً كان مؤمناً مترهاً، والله تعالى يقول: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

ولكن بعض المسلمين وقع في ذلك، وشبه الله تعالى بمخلوقاته فاعتقد أن الله جسمٌ، وأنه متصف بجهة الفوق، وأنه تعالى في مكان ومكانه العرش، وأنه تعالى يتحرك وينتقل من مكان إلى مكان، وأنه مركب من أعضاء، وغير ذلك، وهؤلاء عُرفوا في التاريخ الإسلامي **بالجسمية**، "ومنهم على سبيل المثال محمد بن كرام السجستاني وهشام بن الحكم، وابن تيمية، وفي زماننا المعاصر الحركة الوهابية المعروفة" .

فهذه أحكام تنسب إلى المخلوق، فكيف يجرؤ أحدٌ على نسبتها إلى الخالق؟!!

والسبب في قولهم بالتجسيم والتشبيه هو فهمهم الخاطئ لبعض الآيات والأحاديث الواردة في الشريعة، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح:١٠]

وقوله: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القلم: ٤٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم: **(قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن)**، وقوله **(يترل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل)**.

قالوا: إن الله تعالى في هذه الآيات، يخبر عن نفسه، والله تعالى أعلم بنفسه، فلولا أن الله جسم وله أعضاء، ومكان وجهه، ويتحرك، وينتقل من مكان ومكان، لكان الله تعالى جاهلاً بنفسه[6].

*** الرد على هؤلاء الناس:**

إن هذا القرآن نزل بلغة العرب، ولغة العرب منها الحقيقة ومنها المجاز والكناية، والله تعالى لم يقصد من هذه الألفاظ الإخبار عن نفسه بأنه تعالى جسم مركب من أعضاء، أو أن له مكاناً وغير ذلك من العقائد الفاسدة, وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾، والعرب تستخدم مثل هذه الكلمات والألفاظ لمعاني مجازية على النحو التالي:

1- قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٩]: الاستواء في هذه الآيةِ وغيرِها هو **استواء** التدبير والعلم وليس بمعنى أن الله تعالى جسم مستقر على مكان هو العرش.

2- قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح: ١٠]: **"اليد"** هنا بمعنى الرعاية والتأييد أو بمعنى العناية كما قال في حق آدم عليه السلام (لما خلقت بيدي).

3- قوله: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القلم: ٤٢]: قال ابن عباس كما نقله عنه ابن كثير في تفسيره: أي يوم يكشف عن أهوال يوم القيامة، كما تقول العرب: كشفت الحرب عن ساقها.

4- وقوله صلى الله عليه وسلم: (**يترل** ربنا إلى السماء الدنيا): أي **يترل** ملكٌ بأمر ربنا جل جلاله كما جاء في حديث آخر بيَّن ذلك.

وهكذا فكل لفظ يوهم مشابهة بين الخالق وبين المخلوق فقد حكم العلماء الأثبات بصرفه عن ظاهرة، قال الشاعر:

وكل لفظ أوهم التشبيه   أوِّلْه أو فوِّضْ ورُمْ تتريها.

[6] يقول الوهابية والسلفيون تبعا لشيخهم ابن تيمية: إن الله يستعمل المجاز في الكلام عن أي شيء إلا في حق نفسه فإنه لا يتكلم عن نفسه وصفاته إلا بالألفاظ مريدا منها معانيها الحقيقية، وبناء على هذا صاغوا لنا القاعدة التي تقول: نحن نصف الله بما وصف به نفسه، ويريدون بذلك حمل الألفاظ القرآنية والحديثية كالساق والجنب والاستواء واليد والأصابع والترول وغيرها على معانيها الحقيقية والتي نفهمها نحن في حق أنفسنا، ولكن يقولون ـــ ظانين بهذا القول التتريه لله ـــ أن أعضاء الله ـــ على زعمهم ـــ التي ذكرها الله في الشرع لها كيفات خاصة به كما أن أعضاء الإنسان لها كيفيات خاصة به، وهذا من أعجب العجب إذ جعلوا الفرق بين الله ـــ تعالى عن قولهم ـــ وبين المخلوق في الصورة والشكل؟!!!

وهذا الإمام الكبير أبو جعفر الطحاوي، يقول في عقيدته "عقيدة أهل السنة والجماعة" : " **مَنْ وصف الله تعـــالى بشيء من أوصاف البشر فقد كفر** "، والحاصل أن الذات الإلهية ثابتة موجودة، وأنها ذات منزهة عـــن أدنى مشـــابهة لذوات المخلوقين أو أحكام و أوصاف ذواتهم.

وبهذا نكون قد انتهينا من أحكام الذات الإلهية التي يجب شرعاً على كل مسلم أن يؤمن بها.

الباب الثاني

الصفات الإلهية

قبل البدء في الكلام على الصفات الإلهية نود بيان وشرح معنى لفظة [**الصفة**].

*** تعريف الصفة:**

الصفة لها تعريفان: خاصٌ وعامٌ.

التعريف الخاص:

الصفة بمعناها الخاص هي عبارة عن **"معنى"** قائم بذات. و مثال ذلك عندما تقول: الشافعي عالِمٌ، فها هنا أمران: " **ذات**" الشافعي ، و" **العلم** " القائم بذاته، فكل "معنى" قائم بذاتٍ فهو صفة.

التعريف العام:

الصفة بمعناها العام: كلُّ حكم نُسب إلى ذاتٍ سواء كان قائماً بها كالعلم أو غير قائم بها كنسبة الخلق إلى ذات الشافعي، فأنت عندما تقول: الشافعي مخلوق، فهذا حكم نُسب إلى الشافعي وليس معنى قائم بذاته كالعلم، **والصفة بمفهومها العام يشمل الصفات المعاني ويشمل غيرها كما سيأتي.**

*** الصفات الإلهية:**

عندما يذكر العلماء الصفات الإلهية فيقصدون الصفة بمعناها **العام**، وبناء على ذلك يقسمون صفات الوارد ذكرها في الشريعة إلى الأقسام التالية:

1- الصفات **السلبية**: أي أحكام تنسب إلى الله وصفاته تستلزم تتريه تعالى عن النقص.
2- الصفات **المعاني**: أي معاني حقيقة قائمة بالذات الإلهية.
3- الصفات **الجامعة**: تجمع بين صفات السلب والمعاني.
4- صفات **الجلال** وصفات **الكمال**.

واعلم أن هذه التقسيمات لصفات الله تعالى لم تكن على عهد الصحابة رضوان الله عليهم، ولكن العلماء فيما بعد، وتسهيلاً على التلاميذ والدارسين رتبوها في ضمن هذه الأقسام.

ونحن سنشرع الآن في شرح كل قسم من أقسام الصفات الإلهية في مبحث خاص.

ولقد قدَّمَ العلماءُ مبحث الصفات السلبية تأسياً بالقرآن الكريم لأنه قدم السلب على الإثبات في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ وفي كلمتي الشهادة أيضاً قُدِّم النفيَ على الإثبات، فـ (لا إله) سلب ونفي، و(إلاّ الله) إثبات، وهكذا فالتتريه يسبق الإثبات لأن التتريه يحقق الصفاء والطمأنينة لفكرة وعقيدة الإله الكامل، الخالي عن كل نقص، فإذا أثبت الصفات المعاني بعد ذلك كان ذلك بلوغ القمة في الإيمان بالله تعالى.

المبحث الأول

الصفات السلبية

*** تعريف الصفات السلبية:**

نقصد بالسلب هنا سلب النقص عن الله تعالى، فالصفات السلبية هي كل صفة ورد ذكرها في الشرع واقتضــت **نفيَ** النقص عن الله تعالى.

ومثال ذلك قوله تعالى: (ما اتخذ الله صاحبة ولا ولد)، فالصاحبة وهي الزوجة والولد نقص في حق الإلــه، والله **سلب** عن نفسه هذا النقص, ويجمع كل ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]، فصفة الوحدانية صفة سلبية لأنها تسلب وتنفي عن الله تعالى الصاحبة والولد والشريك وغيرها من النقائص.

ولذلك يسميها بعض العلماء **بصفات التنزيه**، وبعضهم **بصفات التقديس**.

*** عدد الصفات السلبية:**

الصفات السلبية الواردة ذكرها في الشريعة خمسة وهي:

القِدَمُ، والبقاءُ، والمخالفةُ للحوادث، والقيامُ بالنفس، والوحدانية.

واعلم أن كل نقص نزه الله نفسه عنه في الشريعة فهو مندرج تحت واحدة من هذه الصفات، ولذلك سماها العلماء **بأصول التنزيه**، فمن عرفها وتعلمها استطاع أن يفهم لماذا سلب الله عن نفسه الصاحبة والولــد واللغــوب والنــوم والنسيان والسنة، فكل النقائص مسلوبة ومنفية عن الله تعالى بسبب ثبوت الصفات السلبية له تعالى.

*** شرح الصفات السلبية:**

الصفة الأولى: القِدَمُ:

القِدَمُ صفة من الصفات الثابتة لذات الله تعالى بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعــالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد: ٣]، **فالأول** هنا معناه: القديم، ومن السنة قوله صـــلى الله عليــه وسلم: (أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، **وسلطانه القديم** من الشيطان الرجيم)، فوصف النبيُّ صلى الله عليه وسلم اللهَ تعالى بصفة القدم.

* **بيان معنى صفة القِدَمُ:**

معنى هذه الصفة هو **نفيُ أنْ تكونَ ذاتُ الله تعالى مسبوقةً بالعدم،** إذ لو كان الله مسبوقاً بالعدم لكان له بدايةٌ شأنه شأن كل المخلوقات، إذ ما من مخلوق إلاّ وهو مسبوق بالعدم وله بداية، فلو كان الله تعالى مسبوقاً بالعدم لكان له بداية، وهذا يعني أنه مخلوق، ولهذا قال الإمام الطحاوي في بيان عقيدة أهل السنة: **(قديم: بلا ابتداء).**

الصفة الثانية: البقاء:

البقاء صفة من صفات ذات الله تعالى، دل على ذلك الكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى (هو الآخر)، وقد ورد تسميته تعالى بالباقي في الأسماء الحسنى.

والبقاء من الصفات السلبية لأنها **تنفي إمكانَ لحوقِ وطروءِ العدمِ على ذاتِ الله تعالى،** وقال الإمام الطحاويُّ في عقيدته: (باق بلا انتهاء).

فالحاصل من صفتي القِدم والبقاء أنَّ ذاتَ اللهِ تعالى غيرُ مسبوقةٍ بعدمٍ ولا يطرأ عليها عدمٌ، وهذا يستلزم أنَّ ذاتَ اللهِ تعالى لا بداية لوجودها ولا نهاية **بخلاف** ذواتِنا نحن المخلوقين.

الصفة الثالثة: المخالفة للحوادث:

الإنسان منذُ صغره وعقلُه يُفكرُ في ما حوله من مخلوقات، وهذه المخلوقات عبارة عن أجسام، وكل جسم فله خصائص من الحركة والسكون، وكونه محدود الأطراف، وكون الجسم مركباً من الأجزاء، وأن كل جسم فله **كيفية** وشكل وصورة معينة، إلى غير ذلك، فقد يَسْبِقُ إلى وهم الإنسان وخياله أن الله تعالى يشابه هذه الأجسام، فيبدأ الإنسان يقيس الخالق على المخلوق في الذات والصفات والأفعال، وعقيدة أهل السنة تقتضي تقديس الله تعالى وتنزيهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن أدنى مشابهة مع المخلوقات، ولقد نص القرآن على ذلك صراحة عندما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ وهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول: **(كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك).**

وصفة "**المخالفة للحوادث**" تحقق هذا المعنى، ومعنى الحوادث أي المخلوقات، فهذه الصفة تسلب وتنفي عن الله تعالى أن يكون مشابهاً لمخلوقاته من حيث الذات أو الصفات أو الأفعال.

أ- المخالفة على مستوى الذات:

إن كل ما نراه من حولنا ما هي إلاّ أجسام وأجرام، وكل جسم فهو مركب من أجزاء وأعضاء، وله حيز ومكان، وتجوز عليه الحركة والسكون وغيرها مما سبق بيانه، وذات الله تعالى مخالفة لكل ذلك.

ب- المخالفة في الصفات:

ليست صفات الله تعالى من الحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر من جنس صفات المخلوقين، فصفات الله تعالى قديمة قِدَمَ الذاتِ، وأما صفات الإنسان فمخلوقة قابلة للزوال، وأما تسمية الإنسان بالحي والعالم والمريد والقادر.. فمن باب الاشتراك في الألفاظ فقط دون الاشتراك في الحقائق والمعاني.

ج- على مستوى الأفعال:

يعني أنَّ صدور الأفعال عن قدرة الله تعالى مغايرٌ عن صدور الأفعال عن قدرة المخلوق، فإن صدور الأفعال عن قدرة الله تعالى ناشئ عن الاختيار الإلهي لها، وهو تعالى لا ينتفع من وراء ذلك بمنافع، فليست مخلوقات الله تعالى تزيد في كمال الله تعالى، ولا تلبي له حاجة لأنه تعالى هو الغني المطلق ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾ [فاطر: ١٥].

وأما الإنسان فإنه يقصد من وراء أفعاله تحقيق مصالح وحاجات، فهو يشرب ليرتوي، ويأكل ليشبع إلى غير ذلك، **فالإنسان يفعل لأنه ينتفع بأفعاله ويزداد بها كمالاً** بها بخلاف الله تعالى.

ولهذا قال العلماء: إن أفعال الله تعالى صادرة عنه اختياراً وليس يقصد من ورائها الانتفاع بها لأن ذلك يناقض كمال الرب المطلق.

وهناك فرق آخر وهو أن **الأفعال الإلهية تكون خَلْقَاً من العدم**، وأما الإنسان فليس بخالق، بل **مكتسبٌ** لأفعاله وأما خالقها فهو الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾ [الصافات: ٩٦].

الصفة الرابعة: القيام بالنفس:

معنى أنَّ الله تعالى متصف بصفةِ " **القيام بالنفس**" أنه تعالى ذات، وكل ذاتٍ فهي مستقلة بشأنها وليست تابعة لغيرها.

وبعض المبتدعة ادعى أن الله تعالى في حقيقته (معنى) وليس (ذاتاً)، وأنه يحل في غيره، وهؤلاء عقيدتهم تسمى (بالحلول والاتحاد) أي أن الله تعالى يحل في مخلوق كما يحل اللون في الماء، وهذا من أبطل الباطل.

فصفة "القيام بالنفس" تسلب عن الله تعالى نوعين من النقص:

1- أن يكون الله في حقيقته (معنى)، وذلك لأن كل معنى فيحتاج إلى ذات كاحتياج العلم إلى ذات الشافعي لأنه المعاني لا توجد مستقلة عن ذات تقوم بها، فلو كان تعالى في حقيقته (معنى) فينطبق عليه قانون المعاني وهو الاحتياج إلى ذاتٍ تقوم بها وهذا في غاية النقص.

2- أيضاً فإن صفة القيام بالنفس تسلب عن الله تعالى الاحتياج إلى إله آخر غيره.

وإن شئت قلت إن صفة القيام بالنفس هي صفة الغنى الإلهي المطلق عن كل ما سواه، **(يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)**.

الصفة الخامسة: الوحدانية:

الوحدانية من الصفات السلبية الثابتة لله تعالى في الكتاب والسنة، قال تعالى: (قل: هو الله أحد)، و "الواحد" اسم من أسماء الله الحسنى.

والوحدانية تكون في ثلاثة مقامات:

الوحدانية في **الذات** الإلهية.

الوحدانية في **الصفات** الإلهية.

الوحدانية في **الأفعال** الإلهية.

وقبل بيان أنواع الوحدانية الثلاثة، نود شرح معنى الوحدانية:

* **معنى الوحدانية:**

الوحدانية: ضد الكثرة، فالوحدانية عدم الكثرة والتعدد.

* معنى الوحدانية عند عوام الناس:

عوام الناس يقصدون بالوحدانية أنهم يعبدون إلهاً ورباً واحداً، وأنه تعالى لا شريك له، ثم إنهم لا يخوضون فيما وراء ذلك من توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال إلاّ نادراً، ولهذا فقد ينتشر بين الناس عقائد فاسدة وباطلة دقيقة دون أن يشعروا بها، فكان لا بد من شرح معاني التوحيد الثلاثة حتى يتمكن عوام المسلمين من ملاحظة الأخطاء التي قد تنتشر هنا وهناك، والعبرة ليست باعتقاد الوحدانية فقط ولكن بالتركيز على **أحكام الوحدانية**، فهؤلاء الوهابية يؤمنون بالإله الواحد ولكنهم جعلوه جسماً مركباً من أعضاء ومكيفاً بكيفيات، ونحن نريد أن نتكلم على كل قسم في مقام خاص:

المقام الأول: توحيد الذات:

يتعلق بتوحيد الذات مبحثان:

الأول: نفي الشركاء، فذات الإله ذات واحدة ولا يوجد لها شريك، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا** ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ١١٦]، وقال صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك**).

الثاني: أن بعض الناس يعتقد أن ذات الله تعالى يجوز عليها أن تكون مركبة من أجزاء وأعضاء، فيقولون لله **يد** نجهل كيفيتها, و **عين** نجهل كيفيتها, و**جلوس** على العرش نجهل كيفيته, إلى غير ذلك من المفاسد, ونحن نعلم أن **الكيفيات** من خصائص الأجسام, وهؤلاء هم المجسمة والمشبه، وهذا يناقض ويعارض وحدانية الذات الإلهية.

والخلاصة: أن وحدانية الذات تنفي **الكثرة** عن نفس الذات الإلهية، وتنفي أن يكون هناك إله آخر وهو المعروف **بالشرك**.

المقام الثاني: توحيد الصفات:

ويتعلق بتوحيد الصفات مبحثان:

الأول: عدم الكثرة في كل صفةٍ من صفات الله تعالى، فالله له حياة واحدة لا أكثر، وعلم واحد لا أكثر، وإرادة واحدة لا أكثر، وقدرة واحدة لا أكثر، وكلام واحد لا أكثر، وسمع واحد لا أكثر، وبصر واحد لا أكثر.

فليس له تعالى حياتان أو علمان، أو إرادتان، أو قدرتان، أو كلامان، أم سمعان، أو بصران، أو أكثر، **فالتعدد في الصفات باطل وفاسد.**

والذين خالفوا في وحدانية كل صفة من صفات الرب المولى جل جلاله هم **الشيعة** الذين أثبتوا لله إرادتين واحدة تسمى إرادة تكوينية وثانية إرادة تشريعية، وابن تيمية أيضاً يقول بالإرادتين التكوينية والتشريعية، وهذا مخالف لعقائد أهل الحق الذين هم أهل السنة.

الثاني: عدم ثبوت صفة مثل صفات الله تعالى لذات أخرى، ومن ادعى ذلك فقد ادعى ثبوت صفات الرب جل شأنه لغير الله تعالى.

وهذا كأن يقول مثلاً إن **قدرة** الإنسان **تخلق** كقدرة الله تعالى، وممن يقول بذلك الشيعة والعلمانيون، فهم يقولون إن **الإنسان يخلق أفعاله** كما أن الله تعالى يخلق أفعاله، وهذا باطل فاسد لأنه يناقض عقيدة وحدانية الله في صفاته و أفغاله.

المقام الثالث: وحدانية الأفعال:

نقصد بالأفعالِ: **نفس المخلوقات** من السموات والأرضيين وما بينهما وما فيهما، فكل مخلوق خلقه الله بقدرته يسمى **فعلاً.**

فالإنسان وصفاته وحركاته وسكناته كلُّها أفعالٌ لله تعالى لأنه تعالى هو الذي خلقها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ الصافات: ٩٦.

*** مذهب أهل السنة في الأفعال:**

عقيدة أهل السنة أن الخلق للأفعال لا يكون إلاّ لله تعالى وحده، فهو ربٌّ و إلهٌ و مالك لكلِّ ما في الوجود من أفعال ومخلوقات، والأدلة على ذلك من القرآن الكريم كثيرة.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [البقرة: ٧]، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]، ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج: ١٦]، ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾ [لقمان: ٢٦]، إلى غير ذلك من الأدلة الدالة صراحة على أن الباري تعالى هو الخالق، ولا خالق سواه، وكل ما سواه مخلوق.

ويلزم من كونه تعالى هو الخالق فقط أن يكون هو المدبر والمتصرف بكل ما في الوجود من مخلوقات.

قال الإمام **الطحاوي** في عقيدة أهل السنة والجماعة: (**وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بقدرته ومشيئته، ومشيئته تنفذ ولا مشيئة للعبد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن، يهدي مَنْ يشاء، ويعصم ويُعافي، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً** ..)

وإذا كان الله تعالى هو وحده الخالق، وكل ما في الكون من مخلوقات مادية ومعنوية فهي بقدرة الله تعالى مخلوقة، فإن الله تعالى يكون هو خالق الخير والشر، والله هو خالق ذات الإنسان وخالق أفعاله أيضاً، وليس الإنسان بخالق أبداً.

*** الجبر والاختيار:**

أفعال الإنسان قسمان: **أفعال إجبارية،** وهي التي يخلقها الله تعالى في الإنسان جبراً عنه ومثالها حركة الارتعاش التي يشعر بها كل واحد منا، وهناك **أفعال** للإنسان **اختيارية،** أي أن الإنسان هو الذي يختارها، ولذلك فإنه يحاسب عليها، ولكن هذه الأفعال الاختيارية التي يمارسها الإنسان من صلاة، وشرب، وغيرها ليس الإنسان هو الخالق لها، بل إن الله تعالى يخلقها لنا بناء على علم الله بنا أننا نريد فعلها.

فمن علم الله منه إرادة الفعل الفلاني خلقه له، وأشعره كما لو أنه حصله بقدرته الإنسانية، سواء كان ذلك الفعل خيراً أم شراً، فمن علم الله منه إرادة الإيمان وفعل الطاعات خلق له ذلك، ومن علم منه إرادة الشر وفعل المعاصي خلق له الكفر وما تبعه من المعاصي، ولما كان خلق الله تعالى لنا الخير والشرير بناء على علمه بنا، فإننا نحاسب عليها في الدنيا والآخرة.

*** الله خالق، والإنسان مكتسب:**

يسمى علماء أهل السنة الإنسانَ بأنه يكتسبُ الأفعالَ التي يخلقها الله تعالى له، بينما يسمى الله تعالى بخالق الأفعال.

*** المخالفون لأهل السنة:**

المخالفون لأهل السنة في عقيدة الوحدانية فرق:

الفرقة الأولى: المعتزلة والشيعة والفلاسفة الذين قالوا: إن قدرة الإنسان قدرة لها خاصية الخلق، والإنسان هو الذي يخلق أفعاله.

الفرقة الثانية: العلمانيون: وهم الماديون الموجودون في هذا العصر، وهؤلاء ينكرون الخالق من أصله ويعتقدون أن الطاقة المتخللة في أجزاء الكون هي الخالقة لما في الكون من الأفعال.

الفرقة الثالثة: الصابئة: وهم الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن، وعقيدتهم أن الكواكب لها خاصية التأثير والخلق.

واعلم أن قول أهل السنة بأنَّ الله هو خالق أفعال الإنسانية الإجبارية والاختيارية لا يستلزم أن يكون الإنسان مجبراً على أفعاله، بل إنه مختار لأفعاله الاختيارية وإن لم يكن هو الخالق لها.

فالله تعالى هو خالق الإيمان وخالق الكفر، فخلق الإيمان لأبي بكر بناء على اختيار أبي بكر الإيمان، وخلق الكفر لأبي جهل بناء على اختيار أبي جهل لذلك، وكل ذلك بناء على علم الله الأزلي بما سيؤول إليه أمر كل إنسان.

تحليل الاختيار:

الاختيار هو أن يخلق الله تعالى للإنسان فعله على وفق ما يريده الإنسان، كأن يريد الإنسان الإيمان فيخلــق لــه ذلك، أو يريد الكفر فيخلق له ذلك.

تحليل معنى الجبر:

الجبر هو أن يخلق الله تعالى للإنسان فعله دون مدخليه من إرادة الإنسان وقدرته، كحركة الارتعــاش، فــإن الله يخلقها دون اعتبار إرادتنا أو عدم إرادتنا لذلك.

المبحث الثاني

الصفات المعاني

*** الفرق بين الصفات السلبية والصفات المعاني:**

الفرق بينهما أن الصفات **السلبية** هي التي تنفي النقصَ عن ذات الله تعالى، فصفةُ القِدَمِ تنفي عن ذات الله أن يسبقها عدم، والبقاء تنفي عن ذات الله أن يطرأ عليها عَدَمٌ، والمخالفة للحوادث تنفي المشابهة، والوحدانية تنفي عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله التعدد والتكثُر.

وأما الصفات **المعاني** فهي تدل على **ثبوت معاني قائمة بالذات الإلهية**، فالحياة معنى، والعلم معنى، والإرادة معنى، والقدرة معنى، والكلام معنى، والسمع معنى، والبصر معنى، وإن كنا لا ندرك حقيقة هذه المعاني التي هي صفات أولية لذات الله تعالى.

وأما المعتزلة والشيعة فأنكروا الصفات المعاني هذه، ولهذا سماهم أهل السنة بالمعطلة لأنهم عطلوا ذات الله تعالى عن صفاتها المعاني التي دلت عليها الأدلة الشرعية والعقلية واللغوية.

*** أحكام عامة متعلقة بالصفات المعاني:**

تشترك الصفات المعاني الإلهية بالأحكام التالية:

1- **القدم:** كل صفة من المعاني فهي قديمة لم يسبقها العدم أبداً.

2- **البقاء:** كل صفة من المعاني فهي باقية لا يطرأ عليها عدمٌ أبداً.

3- **المخالفة لصفات الحوادث:** فصفات الله المعاني ليست حقيقتها كحقيقة صفات المخلوق.

4- **القيام بذات الله تعالى:** كل صفة من الصفات المعاني قائمة بذات الرب تبارك وتعالى قياماً قديماً أزلياً، خلاف للمجسمة الذين جعلوا بعض صفات الرب مخلوقة، خلقها الرب لنفسه بقدرته.

5- **الوحدانية:** فكل صفة من المعاني هو معنى واحد ولا تعد فيها كما قلناه سابقاً، وكذا فإن ذات الله تعالى هي المختصة بهذه المعاني ولا تثبت لغيره تعالى.

و بهذا تعرف أيَّها المسلم الذكيُّ أن الصفات السلبية السابقة كما أنها أحكام لذات الله هي أيضاً أحكامٌ لصفات الله تعالى.

*** الأحكام الخاصة:**

تتميز كل صفة من صفات الله المعاني بميزة ووظيفة لا يؤديها غيرها من الصفات، وهذه الأحكام أو الميزات هي:

1- **الحياة:** ميزة صفة الحياة الإلهية أنها تُصحح للذات القائمة هي بها أن يتصف ببقية الصفات.

2- **العلم**: ميزة صفة العلم الإلهي **الكشف** عن كل الأمور، فعلم الله كاشف عن كل الواجبات والجائزات والمستحيلات.

3- **الإرادة**: ميزة الإرادة هو **التخصيص**، ومعنى **التخصيص** هو تحديد الزمان والمكان والحجم والجهة والصفات التي سيخلق عليها كل مخلوق من المخلوقات سواء كانت صفات خيرة أو قبيحة.

4- **القدرة**: ميزة القدرة الإلهية **التأثير**، ومعنى **التأثير** هو خلق المخلوق وإيجاده من العدم المحض على طبق تخصيص الإرادة.

5- **الكلام**: ميزة الكلام الإلهي هو **الدلالة** على كل أمر علمه الله تعالى، فكل ما علمه الله في الأزل فقد دل عليه كلام الله في الأزل أيضاً.

6- السمع: ميزة السمع الإلهي هو **الكشف** عن الأصوات الموجودة وكل ما يقبل أن يكون مسموعاً.

7- البصر: ميزة البصر الإلهي هو **الكشف** عن **الموجودات** المبصرة وكل ما يقبل أن يكون مبصراً.

فالعلم كاشف، والإرادة مخصصة، والقدرة مؤثرة (خالقة)، والكلام دالٌّ، والسمع والبصر كاشف عن الموجودات، والحياة مصححة لاتصاف الذات الإلهية بالصفات المعاني كلها.

*** أدلة الصفات المعاني:**

دليل الحياة: قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢].

دليل العلم: قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦].

دليل الإرادة: قال تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [البروج: ١٦].

دليل القدرة: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٩].

دليل الكلام: قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤].

دليل السمع والبصر: قال تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

*** الإيمان بالقضاء والقدر:**

الإيمان بالقضاء والقدر من أصل الإيمان، فمن آمن بهما كان مستقيماً في عقيدته، ومن أنكرهما كان منحرفاً ضالاً، ولقد بين علماء أهل السنة ما المراد بالقضاء والقدر حسب الشرح التالي:

أولاً: القضاء:

القضاء عند أهل السنة راجع إلى علم الله الأزلي بكل أمر من الأمور، فما من أمر من الأمور أو شيء من الأشياء إلاّ والله تعالى يعلمه منذ القِدم والأزل، علماً تفصيلياً، أي بكل أمر على حدى أما دليل قدم العلم: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢] ، وأما دليل العلم التفصيلي: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩]

ثانياً: القدر:

القدر عند أهل السنة راجع إلى صفة القدرة، وهو أن الله تعالى خالق لكل مخلوق على وفق ما علمه في الأزل، وعليه فالقدر تابع للقضاء ومحقق له.

*** التنبيه على بعض الأخطاء التي وقع الناس فيها:**

وقع بعضٌ في أخطاء تخالف عقيدة أهل السنة في صفات الله تعالى، فبعضهم أخطأ فيما يتعلق بصفة العلم، وبعضهم أخطأ فيما يتعلق بصفتي الإرادة والقدرة، وبعضهم أخطأ في صفة الكلام الإلهي:

1- **القدرية**: وهم الذين أنكروا القضاء والقدر، وذلك لأنهم أنكروا العلم الإلهي الأزلي بالأشياء، فسموا قدرية نسبة لهم إلى العقيدة التي أنكروها، وهؤلاء القدرية هم الذين قال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم: (القدرية مجوس هذه الأمة)، وهو من معجزاته لأن القدرية لم يكونوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أصلاً.

وأما **ابن تيمية** فلم ينكر العلم الأزلي ولكنه أنكر أن علم الله تعالى واحدٌ، وأثبت لله تعالى علوما، وهذا يخالف عقيدة الوحدانية في الصفات كما مر معك سابقاً.

2- **المعتزلة والشيعة**: وهم الذين أنكروا صفات الله تعالى، فسماهم أهل السنة بالمعطلة لأنهم عطلوا ذات الرب عن صفاتها المعاني الثابتة لها في الكتاب والسنة.

وقالوا: إن كلام الله عبارة عن حروف وأصوات، يخلقها بقدرته خارج ذاته، وأنكروا الكلام النفسي الذي هو صفة معنى كما يعتقده أهل السنة.

ووافق الشيعةَ والمعتزلةَ على ذلك كلٌّ من ابن تيمية والوهابية والسلفية، فليس صفة الكلام الإلهي عندهم عبارة عن معنى كما هو مذهب أهل السنة، ولكن حروف وأصوات مخلوقة, ولهذا فإن هذه الطوائف تُرجع كلامَ اللهِ تعالى إلى القدرة والإرادة التي وظيفتها الاختيار والخلق، ومن هنا ترانا نسمع مشائخ الوهابية يقولون: الله يتكلم إذا شاء

ويسكت إذا شاء، وهذا الاعتقاد منهم هو أصل القول بخلق القرآن عند من سبقهم مكن المعتزلة و الشيعة, فيلزمهم ما لزمهم من القول بخلق القران.

3- ابن تيمية ومن تبعه من الوهابية والسلفية:

ذهب هؤلاء القوم إلى جواز أن يخلق الله لنفسه صفات خلقاً، ولهذا تراهم يقولون: إن الله يخلق الكلام التي هي حروف وأصوات في ذاته ثم يتلفظ بها خارج ذاته، وبعض من تبعهم وهو ابن بدران أثبت في كتابه (المدخل إلى مذهب أحمد) لله "فماً" يلفظ الله به حروف وأصوات اللغة العربية، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

***القرآن والسنة:**

الشريعة عند أهل السنة عبارة عن كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الشريعة بقسميها (الكتاب والسنة) ترجع إلى صفة الكلام المتصف بها رب العالمين، والتي هي معنى قائم بذات الله تعالى، فالأوامر والنواهي كلها عبارة عن خطابه الله تعالى للناس، والخطاب يكون بالكلام دائماً، فجعل الله نصوص الكتاب والسنة معبرة بلغتنا عن كلامه الأزلي القديم، وكلام الله الأزلي ليس مخلوقا.

*** الحب والرضا، والبغض والكره:**

هذه الصفات الإلهية راجعة إلى صفة الإرادة على الخصوص، فكل ما أمر به الله بكلامه فإنه رضيه وأحبة بإرادته، وكل ما نهى عنه فقد أبغضه وكرهه بإرادته أيضاً، فالله يحب ويرضى، ويبغض ويكره بإرادته.

*** بدعة المعتزلة والشيعة:**

حصر هؤلاء إرادة الله واختياره في **الخير** فقط، فالله لا يريد إلاّ الخير، ولهذا فالله تعالى عندهم خالق للخير فقط، وقالوا: ما دام أن الله يختار ويريد الخير فقط، فإنه بالضرورة أن يرضى ويحب ويأمر بما يختاره ويريده، وبهذا أرجعوا صفات الأمر و النهي إلى الإرادة الإلهية، وهذا خطأ، لأن الأمر والنهي عند أهل السنة راجعان إلى صفة الكلام وليس إلى صفة الإرادة كما ذكرنا سابقاً.

ثم إن البدعة الأخرى التي وقعوا فيها أنهم حصروا اختيار الله في الخير فقط، وأما الشر فهو من خلق الإنسان، فنسبوا بذلك الخلق إلى الإنسان، وهذا مخالف لعقيدة أهل السنة التي نطق بها القرآن الكريم من أن الشر والخير كلاهما من الاختيار الإلهي مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فالله عندنا _ أهل السنة _ يختار بإرادته الشر والخير، ويبتلي بهما الناس، ولكنه بكلامه يأمر بالخير وبكلامه أيضاً ينهى عن الشر.

وأما الرضا والحب فيكون لما اختاره وأمر به من الخير، وأما البغض والكره فيكون لما اختاره من الشر أيضا ولكنه نهى عنه بكلامه.

فمرجع الخير والشر، والحب والرضا، والبغض والكره إلى الإرادة الإلهية وأما الشريعة والأوامر والنواهي فمرجعها إلى الكلام الإلهي وليس إلى الإرادة كما ابتدعه المعتزلة والشيعة والمجسمة.

عقيدة أهل السنة في القرآن الكريم

عقيدة أهل السنة في كلام الله تعالى أنها صفة **معنى**، قائم بالذات الإلهية أزلاً، وهي مخالفة لكلام البشر.

وأما حقيقة كلام البشر فعبارة عن لغة، واللغة عبارة عن حروف وأصوات ينطق بها الناس من أفواههم، وكل حرف من حروف اللغة العربية له بداية وله نهاية، وتتركب الكلمات العربية من هذه الحروف التي تتلفظ بها.

وكلامنا العربي له أحكام، وأول هذه الأحكام أن كلامنا تابع لقدرتنا، وإرادتنا، فإذا أراد الإنسان التكلم تكلم وإذا أراد السكوت سكت.

وثاني هذه الأحكام هو أن كلامنا يقبل التجزئة والتبعيض، والتقديم والتأخير.

ولكن كلام الله تعالى معنى كبقية صفات الله المعاني، وليس حروفاً وأصوات ككلام البشر، وإلا لزم مشابهة المخلوق للخالق، وللزم أن يكون كلام الله مخلوقاً لأن الأصوات والحروف تابعة للقدرة التي وظيفتها وخاصيتها الخلق للأشياء، لأن كل ما كان مسنداً إلى القدرة الإلهية فيلزم أن يكون مخلوقاً كما ذهب إليه الشيعة والمعتزلة والمجسمة.

* **الوهم الكبير**:

يقع كثير من عوام المسلمين في وهم كبير فيظن أن القرآن الكريم الذي نتلوه ونقرؤه في مصاحفنا، ويكتب في المطابع والأقلام هو نفس المعنى القديم الذي هو صفة الكلام الإلهي.

ولو تأملنا جيداً، لأدركنا أن صفة الكلام الإلهي معنى أزلي، قديم، وهذا القرآن الذي بين أيدينا هو عبارة عن أصوات وحروف عربية **تعبر** عن صفة الله التي هي صفة الكلام.

ومنشأ هذا الوهم الكبير هو أننا نطلق على الصفة القديمة وعلى المصحف الذي نقرؤه بأنهما كلام الله، فظن الناس وتوهموا أن كلام الله الأزلي هو أصوات وحروف عربية، وبهذا يكون لله تعالى لغة يتكلم بها.

فنشأ عند الناس عقيدة فاسدة مفادها أن كلام الله هو اللغة العربية. والحق أن كلام الله معنى قديم نجهل حقيقته وليس هو بحروف ولا أصوات.

* **عقيدتنا في القرآن الكريم**:

عقيدتنا في القرآن الكريم هي كعقيدتنا في بقية الكتب السماوية، ونحن نؤمن بأن الكتب السماوية كلها من عند الله تعالى، من أنكر واحداً منها فهو كافر.

وكل كتاب منها فهو مكتوب بلغة الناس الذين نزل إليهم بها، فصحف إبراهيم عليه السلام نزلت باللغة الآرامية.

والتواره والإنجيل نزلا بالعبرانية.

والزبور نزل بلغة قوم داود عليه السلام.

والقرآن نزل بلغة العرب وهي اللغة العربية.

فالآرامية والعبرانية والعربية هي لغات للناس، ولكل لغة حروفها وأصواتها الخاصة بها ولا نقول أنها راجعة لكلام الله تعالى الأزلي.

ومع ذلك فإنا نطلق على هذه الكتب السماوية جميعها بأنها كلام الله، وذلك لا يعني ولا يستلزم أن صفة الكلام الإلهي هي آرامية أو عبرانية أو عربية.

فما معنى أنها كلام الله تعالى؟

معنى أن الكتب السماوية كلام الله أنه تعالى جعل لغة قوم إبراهيم أو داود أو موسى أو عيسى عليهم السلام **وعاء** لتبليغ الأحكام الشرعية، فخلق الله في اللوح المحفوظ حروفاً من جنس الحروف الآرامية والعبرانية والعربي، تشكل هذه الحروف الآيات والسور، ثم أمر الوحي جبريل عليه السلام بإنزالها على الأنبياء والمرسلين.

وليس معنى أنها كلام الله تعالى أن الله متكلم بهذه اللغات لأن كلام الله كما قلنا عبارة عن معنى أزلي قديم، وأما لغات الكتب السماوية فهي تعبيراتٌ وترجماتٌ ودوالٌ على كلام الله الأزلي الذي هو معنى.

فالفرق بين لغات الكتب السماوية و بين كلام الله الأزلي أن الكتب عبارة عن حروف بينما كلام الأزلي عبارة عن معنى، وفرق بين المعنى الأزلي القائم بالذات الإلهية وبين الحروف التي خلقها الله بقدرته في اللوح المحفوظ وأنزلت مع الأنبياء وجعلت دالة للناس مع كلام الله الذي هو معنى أزلي قديم.

الخلاصة: إن مصطلح (كلام الله) يطلق على المعنى القديم المسمى بصفة الكلام، ويطلق على الكتب السماوية المنزلة مع الأنبياء بواسطة الوحي بلغات أقوام الأنبياء، ولكن الأولى كلام الله بمعنى صفتة القائمة بذاته.

وأما الثانية فكلام الله بمعنى أنه تعالى هو الذي أوجدها في اللوح المحفوظ وأمر بإنزالها على الأنبياء.

وكذا مصطلح (القرآن)، فقد يطلق ويراد به كلام الله الأزلي الذي هو معنى مغاير لكلام البشر، وقد يراد بالقرآن الحروف المنزلة على النبي صلى الله عليه وسلم.

فائدة: لقد فرق الله تعالى في كتابه العزيز بين كلامه الأزلي الذي هو صفته وبين كلامه المنزل الذي هو فعله:

1. قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤]: هذه الآية تتعلق بالصفة الأزلية التي هي معنى قائم بذات الله تعالى، مغاير لكلام البشر، ونتوقف عند هذا الحد ولا نخوض في حقيقتها.

2. قال تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢]: هذه الآية تتكلم عن القرآن المنزل بالحروف العربية التي نعرفها, و قد وصفها ربنا فقال (محدث) أي مخلوق.

بناء على ذلك يجب على كل مسلم أن يكون على بصيرة من أمره في هذه المسألة، فأهل السنة لهم تفريق بين أمرين:

الأول: كلام الله الذي يقصد به الصفة الأزلية التي هي صفة الكلام، وهي معنى قديم ليس بحرف ولا صوت ولا لغة.

الثاني: كلام الله بمعنى الحروف التي يخلقها الله بقدرته في اللوح المحفوظ، ويجعلها تعالى معبرة عن كلامـــه الأزلي, وتكون هذه الحروف بحسْب لغة أقوام الأنبياء الذين سيترل الكتاب السماوي عليهم.

ومَنْ لا يدرك هذا التفريق عند أهل السنة لم يفهم بالضبط هذا المبحث العقائدي الهام.

وأما **الشيعة والمعتزلة وابن تيمية** فلم يفرقوا بين الأمرين، وقالوا أن كلام الله هو في حقيقته أصوات وحـــروف، وأنكروا بذلك الكلام النفسي الإلهي، ولهذا وإذا كان كلام الله عندهم هو في حقيقته أصوات وحروف وكل صوت وحرف فهو بالضرورة مخلوق، فذهب هؤلاء جميعاً إلى القول بخلق القرآن وبالتالي تلبسوا بهذه البدعة الشنيعة فاستحقوا ما حل بهم.

قال الإمام الطحاوي في عقيدته :[**وأن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على نبيه وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه..**]

وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان إمام الفقهاء [**ويتكلم لا ككلامنا، فنحن نتكلم بالآيات والحروف، والله متكلم بلا آلة ولا حرف اهـ**]

فعلى المسلم من أهل السنة أن يفرق في حديثه واعتقاده بين كلام الله الذي هو معنى قديم، وبين كلام الله المـــترل الذي حرف وصوت، والذي هو مخلوق محدث كما نص عليه كتاب الله العزيز.

واعلم أن فتنة خلق القرآن سببها هو قول المعتزلة والشيعة إن كلام الله تعالى أصوات وحروف خلافاً لأهل السنة الذين يعتقدون أن كلام الله معنى كما أن العلم معنى والحياة معنى والإرادة معنى والقدرة معنى والسمع معنى والبصـــر معنى.

المبحث الثالث

الصفات الجامعة

لقد عرفت سابقاً أن الصفات السلبية هي التي تدل على نفي النقائص التي لا تليق بالله تعالى، وأن الصفات المعاني هي التي تدل على ثبوت معاني قائمة بالذات الإلهية، فبقي عليك أن تعرف ما معنى **الصفات الجامعة**.

* **تعريف الصفات الجامعة:**

الصفات الجامعة هي كل صفة تستلزم **نفي** النقص عن الله تعالى، وتستلزم أيضاً **إثبات** الصفات المعـــاني، فهـــي تتضمن صفات السلب والصفات المعاني في آن واحد، فلذلك سميت **بالجامعة** لجمعها بين ما تدل عليه الصفات **السلبية** ما تدل عليه الصفات **المعاني**.

ومن أمثلة هذه الصفات الواردة في الشريعة: الجلال، العزة، الجمال، الغني.

* **الصفات الجامعة قسمان**: صفات **جلال** وصفات **جمال**:

صفات الجلال: وهي الصفات التي تدل على مظاهر القوة والجبروت الإلهي، ومن أمثلتها الانتقام والغضب، قال تعـــــــــالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

صفات الجمال: وهي الصفات التي تدل على مظاهر الجمال الإلهي نحو صفات الرحمة والغفران والود والفضـــل والرضا واللطف والحلم والكرم والعفو الإلهي.

* **أثر صفات الجلال والجمال في نفس المسلم:**

قال الإمام أحمد الدردير: **ترى العارفين به تعالى من هيبته خاشعين ولجماله تراهم من حبه موهلين.**

وعلق الإمام الصاوي على كلام الدردير فقال:

فتحصَّل أن العارفين بربهم **إذا تجلى عليهم بالجلال** خشعوا و خضعوا وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ولو كانوا في أعز النعيم و **إذا تجلى عليهم بالجمال** توهلوا وهيموا وازدادوا فرحاً وسروراً ولو كانوا في ضيق الحال. 1هـ

صفات الذات وصفات الأفعال

يفرق علماء أهل السنة أيضاً بين نوعين من الصفات:

الأولى : صفات الذات:

قال الإمام أبو اسحق الشيرازي[7]: " **الصفات الذاتية** هي ما يصح أن يوصف بها في الأزل وفي لا يزال كـــالعلم والقدرة, وهـــولا يجوز أن يوصف تعالى بضدها لأن ضد الحياة الموت، وضد العلم الجهل، وضد القدرة العجز وهكذا في بقية الصفات المعاني.

الثانية: صفات الفعل:

قال الإمام أبو اسحق[8]:**الصفات الفعلية** : هي ما لا يصح أن يوصف بها في الأزل، ويصح في لا يـــزال كـــالخلق والرزق اهـــ

وذلك لأنها صفات تشتق من أفعال الله تعالى وأفعال الله مخلوقة حادثة وليست أزلية.

فائدة:من قال إن الله تعالى يسمى خالقا ورازقاً ومحيياً ومميتاً في الأزل فهو بمعنى أنه قادر على ذلك فيما يستقبل من الأمان كما سيأتي في نقلنا من العقيدة الطحاوية في مبحث الأسماء الإلهية الحسنى.

ملاحظة:

هناك بعض الصفات و الأسماء يمكن إرجاعها إلى صفات الذات فتسمى صفة ذات، ويمكن إرجاعها إلى صـــفات الأفعال فتسمى صفة فعل، وذلك نحو **الرحمن**.

فإن قلنا إنه راجع إلى إرادة الرحمة، فيكون صفة ذات هي الإرادة.

وإن قلنا أنه نفس الفعل المسمى بالرحمة فيكون صفة فعل.

---

(1) (2) الإشارة إلى مذهب أهل الحق، اسحق الشيرازي (476هـــ)، دار الكتاب الإسلامي

الباب الثالث

أسماء الله تعالى الحسنى

هذا مختصر في بعض القواعد العقائدية المتعلقة بأسماء الله تعالى عند أهل السنة والجماعة.

أسماء الله تعالى الحسنى ثابتة بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال عليه الصلاة والسلام: (لله تسعه وتسعون اسماً، مائة إلاّ واحداً، من أحصاها دخل الجنة)، رواه البخاري ومسلم,

القاعدةالأولى:

ما ورد من الاسماء الحسنى في الشرع سمينا الله به، وما منع الشرع منه منعنا تسمية الله تعالى به.

وكل اسم لم يرد في الشرع لا الإذن بتسمية الله تعالى به، ولا الحكم بمنعه، نتوقف فيه، ولا نحكم فيه لا بحلٍ ولا حرامة، لأن الأحكام الشرعية تتلقى من الشرع فقط.

القاعدةالثانية:

لا يشترط في قبول الاسم في حق الله تعالى أن يكون دليله متواتراً قطعياً، وهو الذي يفيد العلم القطعي عند العلماء، بل يكفي أن يكون الدليل كافياً في وجوب العمل، فلو كان الحديث من الآحاد، وصحيح السند، لزمنا العمل به، وذلك لأن إطلاق الأسماء على الله تعالى مسألة فقهية عملية وليست مسألة عقائدية علمية.

(**فرع**) إذا تلقينا من حديث آحاد وصحيح اسماً من أسماء الله تعالى، قبلناه، وسمينا الله تعالى به، ولكن بيان معنى هذا الاسم وشرحه شرحاً يليق بالله تعالى يشترط فيه الأدلة القطعية، وعليه ففرق بين قبول الاسم من الآحاد وبين توضيح معناه في حق الرب تبارك وتعالى فالأول مسألة فقهية عملية كما قلنا، وأما الثانية فمسألة عقائدية.

القاعدة الثالثة:

يقسم العلماء أسماء الله الحسنى أقساماً ثلاثة:

القسم الأول: الأسماء الدالة على مجرد وجود الله تعالى، كلفظ كلمة **موجود، وذات، وغني**.

القسم الثاني: الأسماء الدالة على صفات الله تعالى القديمة المسماة بالصفات المعاني، ومن هذه الأسماء: الحي، العالم، المريد، القادر، المتكلم، السميع، البصير.

القسم الثالث: الأسماء الدالة على أن الله تعالى خالق للأفعال التي يفعلها ومن هذه الأسماء: الخالق، البارئ، الرازق، المحيي، المميت..الخ

فأسماء الله الحسنى في عقيدة أهل السنة منها ما يدل على ذات الله تعالى، ومنها ما يدل على صفاته المعاني القديمة، ومنها ما يدل على أفعاله التي خلقها، ويجمع هذه الأسماء كلها لفظ الجلالة (**الله**).

فائدة: وهناك من الأسماء الحسنى ما يمكن أن يكون مرجعها إلى الصفات المعاني، وعليه تكون هذه الأسماء من صفات الذات كما بيناه سابقاً، كالرحمة الرحيم، فيكون معناها: إرادة الباري الإنعام على عبده، فمرجعها إلى الإرادة، والإرادة من صفات الذات المعاني القديمة.

ويمكن أن ترجع مثل هذه الأسماء إلى الأفعال، كالرحمن الرحيم أيضاً، فيكون معناها نفس الإنعام الذي خلقه الله تعالى، وعليه يكون كل من الرحمن الرحيم من صفات الأفعال.

القاعدة الرابعة:

الأسماء الحسنى ثابتة لله تعالى في الأزل والأبد، سواء في ذلك الأسماء الدالة على مجرد ذات الله تعالى، أوالدالة على صفاته "المعاني القديمة"، أوالدالة على الصفات السلبية كالقديم والباقي والواحد، فهذه الأسماء الراجعة إلى هذه الجهات الثلاثة أسماء أزلية لله تعالى، وهي ثابتة له الآن، وسيبقى مسمى تعالى بها أبداً.

وهناك قسم من الأسماء اختلف فيه العلماء، هل هي أسماء لله تعالى في الأزل قبل خلقه للمخلوقات، أم هي أسماء أطلقت على الله تعالى بعد خلقه لأفعاله ومخلوقاته.

وضربوا لذلك مثالاً: السيف في الغمد، هل يسمى قاطعاً حتى وهو في غمده، أم أنه يسمى قاطعاً عند ممارسة القطع به.

ومن هذه الأسماء الجواد والرزاق والخالق والمعز وهكذا.

فهل يسمى الله تعالى في أزل الآزل قبله خلقه المخلوقات بهذه الأسماء، أم أنه يسمى بها عند خلقه الجود والرزق بالفعل؟

القول الراجح: أنه تعالى يسمى بهذه الأسماء في الأزل، وتسميته بالأزل بناء على أن الله في الأزل متصف بالقدرة القديمة القادرة مع الجود والرزق والإحياء والإماتة.

ولهذا قال الإمام الطحاوي في متن العقيدة الذي سماه عقيدة أهل السنة والجماعة:

[**وما زال بصفاته قديماً قبل خلقه**]: فكل صفات الله تعالى قديمة: السلبية والمعاني والجامعة وصفات الجلال وصفات الجمال.

[**لم يزدد بكونهم شيئاً يكن قبلهم من صفته**]: أن الله تعالى كامل كمالاً مطلقاً، ولذلك فإنه لمّا خلق المخلوقات لم يستجد له صفة جديدة.

[**وكما كان بصفاته أزلية كذلك لا يزال عليها أبدياً**]: فصفاته تعالى ثابتة له ثبوتاً مطلقاً في الأزل وفي المستقبل.

[**ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري**]: كما أن **صفات** الرب جل جلاله قديمة، فكذلك أسماؤه تعالى قديمة ومنها الخالق والبارئ، وهي من الأسماء الراجعة إلى أفعال الله، وأفعاله تعالى حادثة بعد عدم، مخلوقة، ومع ذلك فالأسماء الحسنى المشتقة من الأفعال المخلوقة ثابتة لله في الأزل كما قلنا سابقاً إنه الراجح.

[له معنى الرب ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق]: فالربوبية ثابتة لله تعالى قبل وجود المخلوقات المربوبة له تعالى فهو ربها قبل خلقه لها.

وكذا هو الخالق منذ الأزل وإن لم يكن ثم مخلوق مطلقاً.

[وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم]: فهو تعالى في أزله القديم يسمى بالمحيي والمميت، وبالخالق قبل إنشائه وخلقه تعالى لأي مخلوق.

ثم قال الإمام الطحاوي مبيناً السبب الذي لأجله يطلق على الله الأسماء الحسنى في الأزل مع أنها أسماء مشتقة من أفعال الله تعالى وأفعال الله تعالى مخلوقة وليست موجودة في الأزل.

[بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء فير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليست كمثله شيء وهو السميع البصير].

فكل صفات الله تعالى بجميع أقسامها السابقة، وكل أسمائه تعالى ثابتةٌ لله في الأزل سواء الأسماء الراجعة إلى مجرد الذات، أو مجرد صفات السلب، أو مجرد الصفات المعاني، أو الأسماء الراجعة إلى الصفات الراجحة إلى أفعال الله تعالى، كلها أسماء لله تعالى، تطلق عليه تعالى في الأزل قبل خلقه للمخلوقات.

بيان منهج أهل السنة في شرح الأسماء الحسنى

لقد قلنا في أول هذه الإضاءة الثانية أن أهل السنة لا يخوضون في حقيقة الله تعالى ولا في حقيقة صفاته، ولكنهم يخوضون فيما ينسب إلى الله تعالى وصفاته.

فإذا نُسب إلى الله لفظٌ ما، فنحن نحلل هذا اللفظ، ونتفكر في معناه، فإن كان معناه لا يتعارض مع جلال الرب جوزنا نسبته إلى الله تعالى، وإن تعارض مع جلاله تعالى نفيناه وسلبناه عن الله تعالى، وإن لم يدل لا على تعارض ولا على عدم تعارض توقفنا فيه, إلاَّ أن يكون اللفظ وارداً في الشريعة فإننا ننفي عنه تعالى المعنى الباطل.

وإليك بعض الخطوات المفيدة في هذا المقام الخطير والصعب:

1- هل ما نُسب إليه تعالى مذكور في القرآن والسنة أم هو نسبة من الناس، فالله قد يَنسب هو إلى ذاته وصفاته ألفاظاً كنسبته العلم والإرادة والرحمة والمكر والجنب والحسرة والأيدي والأعين والخلق والإماتة، فكل هذه مذكورة في القرآن، ومنسوبة فيه إلى الله تعالى.

وكذلك نجد أن الله تعالى في القرآن الكريم يذكر عن اليهود والنصارى أنهم نسبوا إلى الله تعالى بعض الألفاظ كالتعب والولد والصاحبة.

والمشركون نسبوا إلى الله تعالى أن الملائكة إناث له.

2- أو أنْ يكون ما نُسب إلى الله وصفاته من اجتهاد الناس كأن يسمى واحدٌ من الناسِ اللهَ تعالى بأنه مهندس أو طبيب.

وطريقة أهل السنة في كل ذلك هي: أن كل لفظ نسبه الله تعالى إلى نفسه في القرآن، فإننا نوجب نسبته إلى الله تعالى من حيث إنه ورد به الشرع.

ثم إن بعد ذلك نبدأ بتفحص معاني هذه الألفاظ، فإذا كان معنى اللفظ لا يؤدي إلى نقص في حق الله تعالى فإننا نصف الله تعالى به كالعلم والإرادة والحياة..الخ، مع تتريه الله تعالى عن أن يشاركه فيها غيره، أو أن يكون معناها في حق الله مشابها لمعناها في حق الخلق، فهذا يكون باطلا ومردودا.

وأما إذا كان **معاني** هذه الألفاظ تتعارض مع جلال الرب تعالى، فإننا ننكر أن يكون الله تعالى متصفاً بمحل التعارض، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح: ١٠]، فإن الاستواء في حق المخلوق هو علو مكان جسم على سطح جسم آخر، ومعنى اليد في حق المخلوق هو العضو المعروف عند الإنسان والحيوان، ومعنى الرحمة في حق المخلوق هو الانفعال والتأثر.

وعليه فإننا نتزه الله تعالى عن هذه المعاني لأنها معاني متعلقة بالمخلوق، وهي تدل على النقص في حق الله تعـــالى، وبهذا ننكر أن تكون هذه المعاني منسوبة ومراده لله تعالى، بل هناك معاني أخرى وراء هذا الظاهر الموهم للنقص.

فالاستواء مثلاً هو استواء سلطان وعظمة وتدبير.

و(يد الله فوق أيديهم) بمعنى التأييد والمعونة والنصرة.

و(الرحمن الرحيم) بمعنى المعطي والمحسن.

وهكذا هو الحال مع كل أسماء الله تعالى الحسنى، فليحذر المسلم عن أن يفهم معاني صفات الله تعالى ومعاني أسمائه بكافة أقسامها كما يفهم هو من صفات المخلوقين وأسمائهم، واعلم أن الرجوع في بيان مثل ذلك إنما يكون للعلمـــاء الراسخين في العلم.

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام على مبحثي الصفات والأسماء، ولنشرع الآن في القسم الأخير هو مبحث أفعال الله تعالى.

3_ أننا نطبق هذا المنهج على أسماء الله الحسنى, فنتفكر في هذه الأسماء فما كان منها موهما لمعنى فيه شائبة النقص فإننا ننفي هذا الاحتمال الموهوم, وما كان منها راجعا إلى الصفات السلبية أو المعاني أو الجامعة أرجعناه إليها كـــلٌ بحسْبه.

وبعد النظر الدقيق يمكننا إرجاع كل اسم من الأسماء الصفة التي يرجع إليها.

الباب الرابع

الأفعال

هذا الباب من أهم الأبواب في العقيدة الإسلامية، والناس في هذا الزمان يكاد يكون الغالب منهم أنهم لا يهتمون به، مع أن الله تعالى أرسل الأنبياء والمرسلين لهداية الناس وإرشادهم إلى ما هو خير لهم في الدنيا والآخرة.

بل نقول: إن إغراق الناس وانغماسهم في عالم المصالح والمنافع أبعدهم عن بذل أقل جهد في فهم المسائل العقائدية التي أُرسل الأنبياء بها ليفهما الناس عنهم، وليقيموا حياتهم بناء عليها.

فالإنسان عندما يفهم معنى الإلوهية والربوبية، ومعنى النبوة والرسالة، ومعنى العبادة، ومعنى الشريعة السماوية، ومعاني صفات الله تعالى، ويفهم معاني العقائد الغيبية كالبرزخ والصراط والميزان والشفاعة، ... إلى غير ذلك من المعاني التي جاء بها الأنبياء إلى الناس، فإنه يستطيع أن يستوعب حقيقة وجوده على هذه الأرض، وتكون مصالحة تابعة لهذه الأمور، وهي المصالح الحقيقية، وليست المصالح الوهمية التي يركض الناس وراءها.

وذلك لأن السعادة المترتبة على المصالح الدينية سعادة دنيوية وأخروية، أما السعادة المترتبة على مصالح الدنيا فمصالح دنيوية في الجانب المادي فقط.

ومن العقائد التي بعث الله أنبياءه بها إلى الناس ليفهموها فهماً دقيقاً، ويؤمنوا بها إيماناً صادقاً هو أن الله تعالى حرٌ ومختار في خلقه لأفعاله، وأنه ليس لأحد أن يلزم الله تعالى بشيء ولا يوجب عليه حكم، وأنه لا يمنع أحدٌ اللهَ عن فِعْلِ فعلٍ من أفعاله أو عدم فعله له.

وهذا هو معنى التدبير والتصريف اللذين أكد الله عليهما في القرآن الكريم.

والنبي صلى الله عليه وسلم ترك الصحابة رضي الله عنهم وقد أيقنوا أن الله **فاعل مختار** فيما يفعل، لا يجبره أحدٌ على فعل من الأفعال، ولا يعجزه أحد عن فعل من الأفعال، وبقي هذا الاعتقاد الراسخ حتى ظهر في الأمة بعض المبتدعة من أهل الأهواء:

فمنهم من تطاول على مقام الله تعالى فأوجب على الله بعض أفعاله حتى أن هؤلاء قالوا: لو لم يفعل الله هذه الأفعال لكان الله ظالماً، وهؤلاء هم الشيعة والمعتزلة.

ومنهم منع الله عن بعض أفعاله، وادعى استحالتها عليه وهؤلاء هم الشيعة والمعتزلة أيضاً.

وبهذا حُدشت عقيدة الإيمان، فبدلاً من الاعتراف بأن الله قادر على كل أفعاله، جعلوه قادراً على بعضها، ومنعوه عن بعضها وأوجبوا عليه بعضها.

وأغرق بعض المبتدعة في الابتداع حتى نسب **خلق الأفعال** إلى الإنسان، فقالوا بأن الإنسان له قدرة، وقدرته خالقة لأفعاله، فنسبوا أفعال الله الواحد الأحد إلى غير الله تعالى وهو الإنسان، فبدلاً من أن يكون هناك خالق واحد هو الله تعالى أصبح هناك مع الله من يمارس الخلق، وهؤلاء هم الشيعة والمعتزلة أيضاً.

هذا كله دعا علماءَ أهلِ السنة إلى بيان عقيدتهم في الله تعالى وأنه هو الخالق الوحيد لكل الأفعال، وردوا على المخالفين.

وفوق ذلك كله ارتكب بعض الناس شططا، وخرجوا عن الحق خروجاً فاضحاً عندما جعلوا بعض صفات الرب التي هي معاني قائمة بالذات الإلهية أزلاً — أقول: جعلوها أفعالاً لله يخلقها بقدرته في ذاته، وهؤلاء هم المجسمة الـــذين قالوا: إن الله يخلق كلامه، ويخلق إرادته في ذاته.

وتبع هؤلاء في هذه العقيدة الفاسدة الفاضحة بعض المسلمين في هذا الزمان، وهكذا عندما ظهرت هذه البـــدع، وراجت عند بعض الناس هبَّ أهل السنة ينظرون في أقاويلهم، ويفكرون في أدلتهم التي يستدلون بها، وبينوا المفاســـد المترتبة على عقائدهم الباردة البائرة، فجزاهم الله خير الجزاء، ونفعنا بعلومهم وبركتهم النفع الوافر.

وهذا آخر ما أردنا بيانه والاقتصار عليه من عقائد أهل السنة المتعلقة بذاته تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله.

وفي الإضاءة الثالثة سنشرع في بيان عقائد أهل السنة المتعلقة بالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين ۞